

ألا ترون في " جحيش) هذه شيئاً بغيضاً؟ فليست أدري ماذا يصيبني لو أنى واجهت رجلاً أيداً بأنّه جحيش؟.

قال: رويدك بعض سخريتك، فجحيش هذه تساوي (فريداً) فالكلمتان مترادفتان فلماذا يغضب من تواجهه بأنه فريد. فريد في نوعه. فريد في علمه. فريد في حلمه أو فيما شئت؟ فالكلمة في ذاتها لا تتضمن قدحاً ولا مدحاً وإنما توجهها حيث شئت إذا خصتها بإضافة أو غيرها. ألا وإن الصفات التي خلعتها بأبط شراً على ابن عمه لحميدة جد حميدة. أدخل في حسابك ظروف الزمان والمكان وما يترتب عليها من تحول في السلوك؛ تجد الصفة الشخصية هي هي ولو أخذت بالضرورة لون البيئة أو نشاط الوسط الاجتماعي. فشمس بن مالك مثلاً رجل جلد، صبور، يقظ، متحرك أبداً ولو كان قد قدر له أن يعيش في أيامنا هذه، لكان رجل أعمال من الطراز الأول. يمسي في أوروبا ويصبح في أمريكا ثم لا يلبث أن يستقل (نفثة) تحمله إلى آسيا، ولكن اخلقه في القرن السادس الميلادي لا في القرن العشرين، وفي البادية لا في مدينة أوروبية أو أمريكية فكان دأبه أن يستقل، بدل (النفثة) العصرية، ناقة جمالية، وأن يرتاد، بدل المدن الآهلة الفلوات القاحلة. هو على أي حال نشاط تختلف أوجهه باختلاف الملابس، فشمس بن مالك قد يصبح (فورد)، وفورد قد يصبح شمس بن مالك لو تبادلا ظروف الزمان والمكان. قلت: خيال يسرح بنا أيما مسرح.

قال: أو يشطح بنا أيما مشطح، أو قل سمارير رمضان، ومرة أخرى لنعد إلى ما كنا فيه: إلى تأبط شراً عفاً عنه.

قلت: كيف يعفو عنه، وهو ممن كانوا يحاربون ارسوله ويسعون في الأرض فساداً، فهو لم يك إلا صعلوكاً قاطع طريق، أكبر همه الجريمة، يأكل أموال الناس بالباطل، ويقتل النفس التي حرم الله. ثم هو قبل هذا كله مشرك، والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.